أطلال منازل أم الرصاص

نقوش وزخارف في كل مكان

من أهم المواقع السياحية الأثرية والتاريخية

مدينة أم الرصاص تقدم رؤية شاملة عن الحضارة الأردنية

جانب من سور الحصن الروماني

أم الرصاص قرية تتبع محافظة العاصمة في وسط المملكة الأردنية الهاشمية. كانت قديما مدينة تاريخية، اطلق عليها إسم «كاسرتون ميفعة» كما ورد في نص باللغة اليونانية ضمن قسيفساء تعود إلى العصر الأموي، أسسها الرومان كمعسكرات في البدء من أجل تثبيت النفوذ وحماية طرق التجارة المتجهة من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام وبالعكس، إلا أنها نمت لتصبح مدينة ابتداء من القرن الخامس الميلادي، لتحتل منزلة كبيرة في ذلك الوقت. يحتوي الموقع الأثري فيها على أطلال تعود للفترة الرومانية والبيزنطية، بالإضافة إلى الفترة المبكرة من الحضارة الإسلامية «من نهاية القرن الثالث إلى التاسع ميلادي».

وتعتبر منطقة أم الرصاص اليوم، من أهم المواقع السياحية الأثرية في الأردن التي يرتادها الحجاج المسيحيون من مختلف مناطق العالم، لما تحويه من معالم دينية قديمة. ويُعد إكتشاف الأرضية الفسيفسائية لكنيسة القديس ستيفان، الإكتشاف الأهم في كل الموقع، والتي تعود إلى عام 785 «تم إكتشافها بعد عام 1986». وتعتبر هذه الأرضية الفسيفسائية المحافظ عليها جيداً، الأكبر في الأردن.

تحيط بأم الرصاص، بقايا مناطق زراعية قديمة، كما أن هنالك نظام خاص لجمع المياه على امتداد الموقع استعمل لمياه الشرب وكذلك كنظام لري المزروعات. وبالرغم من إحتوائها على الكثير من الكنائس التاريخية وآثارًا لمعسكر روماني كبير، إلا أن معظم أجزاء الموقع لم تكتشف بعد.

تجدر الإشارة إلى انه تم إدراج أم الرصاص على قائمة التراث العالمي التابعة لليونسكو في عام 2004، نظراً للمزيج الفريد من الحضارات المختلفة فيها، كما أن معظم كنائسها تم بناؤها بعد الحكم الإسلامي.

التسمية

تعود تسمية الموقع بهذا الاسم حسب معاجم اللغة إلى جذره، فهو مشتق من الفعل «رصّ»، أي وضع أمرين ملتصقين بعضهما ببعض، كما تعني كلمة «مرصّ» الطلاء بالرصاص، ويشيران هذان الاسمان في علم الأسماء إلى الأسوار المحكمة. وقد ورد إسم المدينة القديم «كاسترون ميفعة» في نص باللغة اليونانية ضمن قسيسفاء تعود إلى العصر الأموي. وقد ورد الأسم الجغرافي «ميفعة» في المصادر الرومانية والعربية، وعند المؤرخ يوسفيوس في كتابه الأسماء الجغرافية «اونوماستكون»، حين ذكر وجود وحدة من الجيش الروماني كان مركزها على حافة الصحراء في ميفعة، كما وردت عند الجغرافي العربي البكري كقرية في البلقاء من سوريا عرفت منذ فجر الإسلام بالمكان الذي التقى به الحنفي زيد بن عمرو بن نوفل براهب نبتا بمجيء النبي محمد. وأم الرصاص هو الإسم العربي المحلي الذي عرفت به لأول مرة للرحالة الغربيين منهم سيتزن عام 1807، وبكنجهام الذي زارها عام 1816.

التاريخ

تتمتع ميفعة التي أصبحت الآن أم الرصاص العصرية بتاريخ طويل. حيث انها ذكرت في العهد القديم والعهد الجديد للكتاب المقدس. لقد حصنها الرومان، وواصل المسيحيون تزيينها بفسيفساء على الطراز البيزنطي بعد انقضاء اكثر من 100 سنة على بداية حكم الإسلام.

لقد هدمت معظم جدران هذه المدينة التي تتخذ شكل مربع، غير انها لا تزال تتضمن مبان عديدة بالإضافة إلى أربع كنائس وبعض الأقواس الصخرية البديعة. تكمن نقطة الاستقطاب الأساسية خارج أسوار المدينة في قلب كنيسة القديس اسطفان التي تتميز بأرض ضخمة مرصوفة بالفسيفساء منذ عام 718 م. لا تزال محفوظة حتى أيامنا هذه. تصور هذه الفسيفساء رسوماً لعدد من المدن البارزة التابعة للأرض المقدسة من جهتي نهر الأردن الشرقية والغربية، حيث تم وصف 8 مدن في فلسطين و 9 مدن في الأردن، بالإضافة إلى 10 مدن في دلتا النيل. ومن أهم تلك المدن القدس وميفعة «أم الرصاص» والإسكندرية. هذه التحفة الرائعة هي الثانية من نوعها بعد خارطة فسيفساء مادبا الشهيرة عالمياً التي تصور القدس والأراضي المقدسة. على بعد أقل من كيلومترين من المدينة المحصنة، يثير أعلى برج قديم صامد في الأردن دهشة المتخصصين إذ يبلغ ارتفاعه 15 متراً وليست له أبواب أو بيت سلم داخلي، أصبح البرج حالياً مأوى لأسراب من الطيور.

تعود الأنقاض الرئيسية إلى العهد الروماني، وهي بحجم بلدة صغيرة ذات أبعاد 158x139م، حيث كانت قائمة حامية «Garrison» رومانية. ولكن الزمن والزلازل جعلتها كتلة من الحجارة المتراكمة، مع بعض الأقواس الظاهرة فوق الأنقاض. ومن الواضح أن الحياة المسيحية استمرت دون انقطاع، حتى بعد الفتح الإسلامي للشام عام 636 م. ويوجد داخل الجدار، أربع كنائس، اثنتان منها أكتشفت مؤخراً، كلاهما من القرن السادس الميلادي. كما كشفت حفريات خارج الجدار الشمالي عن بعض الكنائس الأخرى وأرضيات فسيفسائية من أواخر القرن السادس والثامن. ويوجد إلى شمال الحصن، برج عال، يحوي صلبات منحوتة على ثلاث جهات، وهناك غرفة في أعلى البرج. كما يوجد بالقرب منه كنيسة صغيرة، ومبنى من ثلاثة طوابق وصهاريج منحوتة في الصخر.

التاريخ المعاصر

أصبحت أم الرصاص بعد انسحاب العثمانيين من شرق الأردن، وإعلان الإمارة فيها، جزءا من لواء عمّان، والذي يتبعه قضاء مادبا وناحية زيزيا. أما اليوم، فهي مركز قضاء أم الرصاص، التابع للواء الجيزة في محافظة العاصمة. وكان لأبناء القرية في التاريخ المعاصر دورٌ في عدد من المعارك منذ بداية القرن العشرين، حيث كان لهم دور في التصدي لغزوات البدو والتي أطلق عليها «حرب الأخوين» مع كل قبائل شرق الأردن آنذاك، حيث كان لهم قصب السبق بحكم الموقع. كما شارك أهلها في الثورة العربية الكبرى بقيادة الحسين بن علي ضد الدولة العثمانية، وفي حرب فلسطين عام 1948، حيث سقط عدد منهم في القتال ضد المجموعات الصهيونية.

لحفاريس للنحلة الوعرة المطلة على وادي الموجب

آثار المدينة

تتكون المدينة القديمة من ثلاثة أجزاء رئيسية:

المعسكر الروماني : يحيط به سور بُني بداخله في الفترة البيزنطية عدد من الكنائس، ويعود تاريخه للقرن الثالث الميلادي، وهو مستطيل الشكل يحيط به سور دعم بعدد من الأبراج وله بابان في الواجهتين الشمالية والجنوبية وباب كبير في الواجهة الشرقية حيث كان مقرا للفيلق الروماني الذي كلف بحماية الطريق التجاري السلطاني وحفظ الأمن والإستقرار في المناطق المجاورة لأم الرصاص.

الكنائس : كشفت التنقيبات الأثرية التي بدأت في عام 1986 عن مجمع ديني يتألف من أربع كنائس، وكنيستين رصفت أرضياتهما بالفسيفساء، هما: كنيسة القديس سيرجيوس، التي بنيت عام 586، وكنيسة القديس اسطفانس، التي بُنيت في القرن الثامن ميلادي، ويفصل بينهما ساحة مكشوفة مبلطة حولت فيما بعد إلى كنيسة بإضافة حنية في الجدار الغربي وتعرف حاليا باسم كنيسة الباحة. كما كشف عن كنيسة الأسقف وائل التي تقع خارج جدار الحصن بلطت أرضيتها بالفسيفساء وأرخت إلى عام 586 م.

توجد داخل للجمع، أربعة أفنية: الفناء الشمالي الشرقي، الفناء الغربي، الفناء الشرقي، الفناء الجنوبي. يحيط بالمجمع ويلتف حوله سور يندمج احيانا مع جدران بعض فراغاته المعمارية كما هو الحال بالنسبة للجدار الشمالي لكنيسة الاسقف يرجيوس. ويمكن تفصيل اهم هذه الكنائس بالتالي:

كنيسة القديس اسطفان:

يُطلق عليها أيضا «كنيسة القديس اسطيفانيوس» أو «استيفان». تتميز هذه الكنيسة بارض ضخمة مرصوفة بالفسيفساء منذ عام 718 م. لا تزال محفوظة حتى ايامنا هذه. تصور هذه الفسيفساء – التي تزيد مساحتها عن 500 متر مربع – رسوماً لعدد من المدن البارزة التابعة للأرض المقدسة من جهتي نهر الأردن الشرقية والغربية، حيث تم وصف 8 مدن في فلسطين و 9 مدن في الأردن، بالإضافة إلى 10 مدن في دلتا النيل. ومن أهم تلك المدن القدس وميفعة «أم الرصاص» والإسكندرية. هذه التحفة المعمارية هي الثانية من نوعها بعد خارطة فسيفساء مادبا الشهيرة عالميا التي تصور القدس والأراضي المقدسة. وعلى الرغم من تعرض أرضية فسيفساء كنيسة القديس اسطفان لعملية حفظ، لكنها بحاجة إلى عمل استثنائي. هناك صيانة مستمرة وخطة لترميم البرج العمودي التي هدفها تحقيق الإستقرار والسماح أيضا بدراسة الواجهات. بشكل عام لقد تحسنت أوضاع الحفاظ في هذين الصرحين، المرتبطان بتاريخ الرهبنة والتوحيد، وفي مناطق أخرى في الموقع.

كنيسة القديس سيرجيوس:

وهي عبارة عن كنيستين، يُطلق عليها أيضا «الكنيسة الشواء»، او «كنيسة الانهار وشجرة النخيل»، توجد داخل أسوار الحصن في نفس موقع ام الرصاص ميفعة. بدات الحفريات فيها منذ عام 1987 الكنيستان اللتان تؤلفان هذا الزوج هما كنيسة الأنهار «الشمالية» وكنيسة شجرة النخيل «الجنوبية». وتعتبر الكنيستان من الطراز البازيلكي. ومن خلال دراسة المخطط المعماري للكنيسة الشواء نلاحظ ان كنيسة الانهار الشمالية قد تم بناؤها في مرحلة تسبق بناء كنيسة شجرة النخيل الجنوبية.

كنيسة القديس بولس:

هذه الكنيسة لديها خصائص مشتركة مع المباني الدينية الأخرى في أم الرصاص، لها مدخلان في الجدار الجنوبي بخصائص مشتركة مع كنيسة القديس ستيفن. الإختلاف هو في وجود رواق مبلط امام الباب في الجانب الشرقي. يتميز أيضا بوجود رواق بأعمدة أمام البوابتين. وعلاوة على ذلك، من الناحية الطقسية يلاحظ في الكنيسة كشكان على الجدار الشرقي لها علاقة مع غطاء حاوية الآثار الدينية المقدسة الذي وجدت خلال التنقيب. بنيت كنيسة القديس بولس والفسيفساء في النصف الثاني من القرن السادس في وقت المطران سيرجيو كانت تستخدم بشكل طقوسي على الأقل حتى منتصف القرن الثامن. بعد ذلك سكن فيها عائلة بدوية التي بنيت غرفة إضافية في داخل وخارج الكنيسة. السكن دام حتى القرن العاشر عندما انهار السقف. بعد سقوط الأقواس تبعت فترة غير معروفة.

برج الناسك

هو برج يقع على بعد 1.5 كم شمال غرب الحصن ويبلغ ارتفاعه 15 م بقاعدة مربعة «2.5× 2.5 م» ويحيط به ساحة مُسوره بنيت فيها كنيسة، وفي أعلى البرج غرفة كانت مسقوفة بقبة، ويعتقد بأن البرج استعمله بعض الرهبان للتعبد. من جهة أخرى، يرى باحثون أن البرج لم يكن لأغراض دينية، بل هو نقطة حماية وتنبيه للأخطار الممكن أتيانها من الصحراء وأيضا لحماية الماء المحفوظ في الآبار المجاورة، مع الأخذ بعين الإعتبار أن البعض من الباحثين وعلماء الآثار ظل يظن وما يزال أن البرج اقيم لاغراض دينية تقشفية.

ميدان كنيسة في المدينة

مركز الزوار في المدينة

القدس على الأرضية الفسيفسائية بكنيسة القديس ستيفان

من داخل الشلتر